

Strategy
W A T C H



المراقب
الإستراتيجي

ضم الجولان: يوم السعد للأسد



ترجمات

الأربعاء 3 أبريل 2019

ترجمات



ضم الجولان: يوم السعد للأسد

نشر "المعهد الأطلنطي" (Atlantic Council) مقالاً (21 مارس 2019) بعنوان (Assad's Day Annex the Golan, Make) حذر فيه السفير والدبلوماسي الأمريكي المخضرم فريدرك هوف من تبعات قرار الاعتراف بضم إسرائيل للجولان، معتبراً أن هذا التحرك يصب في مصلحة أسد وحلفائه الذين سيستغلون إلحاق الجولان بإسرائيل لصرف الأنظار عن جرائمهم بحق السوريين.

ورأى هوف أن "محور الممانعة" سيكون المستفيد الأكبر من هذه السياسة، حيث سيعمل على تضخيم خطابه وتكرار كلماته الجوفاء عن "الممانعة" و"المقاومة"، في حين لا تزيد هذه المسألة عن كونها مسألة تنافس حزبي انتخابي في إسرائيل، ولن يكون لها تأثير على زيادة مستوى أمن الهضبة "الهادئة" منذ خمسين عاماً، بل ستمنح بشار الأسد مكاسب كبيرة للتغطية على الجرائم التي ارتكبها على مدى السنوات الثمانية الماضية.

ورأى هوف أن التقارير التي تتحدث عن إلحاق الجولان المحتل بإسرائيل لها وقع كالموسيقى على أذني بطل مجرم الإبادة الجماعية بشار الأسد، الذي سيرحب بهذا الزخم الإعلامي للتغطية على جرائمه وتسليط الضوء على "سرقة إسرائيل لأرض سورية"، وسيبتهج بذلك كل من "حزب الله" وإيران اللذين سيستغلا الحدث لرفع أصواتهم بشعارات "المقاومة"، والتغطية من خلالها على أوساخ إرهابهما العابر للحدود، وعلى الفضائح الأخيرة حول اتجارهم بالمخدرات وغسيل الأموال، في حين لن تحقق تل أبيب مكسباً حقيقياً من خلال الإلحاق الرسمي للجولان المحتل.

واعتبر هوف أن تسرع بعض الجهات في إسرائيل لذلك الإعلان يأتي في سياق الانتخابات المقبلة والتنازع الحزبي على الزعامة الإسرائيلية، حيث يرغب الناخبون في رؤية زعمائهم يلحقون بإسرائيل قطعة جميلة ومرتفعة من التضاريس، "ذلك أن من جرب التناقض الصارخ بين ازدحام وضيق الجغرافيا الاسرائيلية وبين حالة الهدوء والصفاء التي يتمتع بها الجولان المحتل سيتفهم تلك المشاعر".

وعلى الرغم من أن رئيس الوزراء نتنياهو ومنافسه بيني غانتز لا يملكان للرأي العام المرتبط بالجولان سوى الإعلان عن ضم الجولان المحتل؛ إلا أن هوف تمنى أن يمتنع الفائز في الانتخابات عن تقديم ضم الجولان كهدية للأسد وجعلها يوم فرج له، فالحاق الجولان رسمياً لن يقدم أي أمر إيجابي لإسرائيل، ولن تحقق منها إسرائيل أية مكاسب اقتصادية أو اجتماعية، ولن يجني منها على الصعيد العالمي سوى الإدانة والتفريع، بينما سيحصل كل من إيران و"حزب الله" على مكاسب إعلامية مهمة.

وحت هوف السياسة الأمريكية الذين يميلون لدعم ضم الجولان لإسرائيل على توخي الحيطة، فرغبة الرئيس ترامب في إرضاء جزء من قاعدته السياسية قد يكون لها أثر سلبي على أمن إسرائيل (دون قصد)، وذلك من خلال مساعدة الأسد وخامنئي ونصرالله على استعادة الشرعية التي فقدوها محلياً وإقليمياً، وإمدادهم بما يحتاجونه من الدعاية والتبشير بقضاياهم المزيفة.

وعبر هوف عن حزنه إزاء الدعم الذي قدمه السيناتور ليندزي غراهام لقضية ضم الجولان، خاصة وأنه عُرف بصلابته فيما يتعلق بالشأن السوري، وآخر ما يرغب به في الوقت الحالي هو إقصاء السوريين المناهضين للأسد عن طريق منح نقاط إضافية لجلادهم، ودعمه بالمبررات اللازمة لتعزيز ما يسميه "محور المقاومة"، ومساعدته على الاستمرار في اضطهاد السوريين، ويبدو أن السيناتور غراهام لم يضع بعين الاعتبار النتائج الكامنة خلف تأييده لمسألة ضم الجولان.



وذكر هوف بأن خسارة سوريا للجولان عام 1967 جاءت نتيجة انحطاط حافظ الأسد وعدم كفاءته العسكرية، إذ كان جل تركيزه منصباً على تطهير الجيش من الضباط الأكفاء الذين اعتبروه شخصاً غير موثوق، وأثبت، بالفعل، أنه فاشل في الدفاع عن تلك الهضبة الإستراتيجية.

وفي 2011 استعاض ابنه بشار عن الوساطة السلمية التي كان يمكن أن تفضي إلى استعادته للجولان عبر الدبلوماسية، بشن الحرب على المتظاهرين السلميين، ما أفقده الشرعية السياسية وجر الخراب على سوريا، ويأتي الاعتراف الأمريكي بضم هذه الهضبة الإستراتيجية ليحول خيانات آل الأسد إلى مشهد قومي، علماً بأنه ليس لدى تل أبيب ما تحققه عبر مناورة "قانونية فارغة المضمون" من شأنها توفير المساعدة لأعداء الدولة اليهودية الذين يطلقون على أنفسهم مسمى "حلف المقاومة".

ورأى هوف أنه على الرغم من أن إمكانية تحقيق سلام شامل بين سوريا وإسرائيل في سوريا ما بعد الأسد تعتبر ضرباً من الخيال في الوقت الحالي؛ إلا أن سجل إسرائيل في تقديم المساعدات الإنسانية للسوريين اليائسين، ومعارضتها للهيمنة الإيرانية على سوريا قد أبقى بالفعل هذا الأمل على قيد الحياة، وغير نحو الأفضل توجهات ملايين السوريين تجاه إسرائيل، وسيكون معيباً أن ترمي حكومة نتنياهو تلك المنجزات عرض الحائط، وأن تقدم بديلاً عن ذلك المبررات لدمشق وطهران و"حزب الله" لإحياء جعجة "المقاومة"، وجعل مسألة ضم الجولان طالع سعد للأسد.



وفي دراسة رديفة نشرها معهد الدراسات الإستراتيجية والدولية (15 مارس 2019) بعنوان (Rubble, Refugees, and Syria's Periphery) تناول الباحث جون ألترمان تحول مسألة اللاجئين السوريين إلى ورقة ضغط بيد الأسد يستخدمها ضد جيرانه، ويوظفها لتهديد أمنهم، مؤكداً أن الأسد لا يريد عودة اللاجئين لأنه لا يمتلك القدرة على تقديم الخدمات والرعاية لهم، ولا يرغب في زيادة العبء على نظامه الأمني، بل يعمل على توزيع أملاكهم على مواليه وحلفائه، كما أنه يرغب في زيادة أوراقه التفاوضية عبر إطالة أمد أزمة اللاجئين التي تشكل عبئاً على كاهل الدول المجاورة.

وفي الوقت الذي بدا فيه أن بشار الأسد قد انتصر، عبر استعادة السيطرة على المراكز السكانية الكبرى، ووقوع مناوئيه في حالة من التراجع والفوضى، وتشردم أعدائه على المستوى الإقليمي والدولي، بحيث لم تعد لديهم القدرة على استهداف حكمه؛ إلا أن وضعه لا يزال هشاً، وتلوح في الأفق المزيد من المعارك المقبلة، أبرزها في الشمال الغربي، في حين تعيش البلاد حالة عارمة من الفوضى نتيجة تدمير المدن والبنى التحتية وإجبار نصف السكان على الهجرة والنزوح عن بيوتهم.

في هذه الأثناء؛ تراهن الدول الغربية على أن حاجة الأسد لإعادة الإعمار ستمنحهم النفوذ لصياغة اتفاقية سلام شاملة، إلا أن ثقتهم تبدو في غير محلها، فبدلاً من القلق على وضع سوريا، يثور القلق الدولي بشأن الوضع المتردي لحلفائهم في المنطقة، حيث يبدو الأسد غير مستعجل على حل مشكلة اللاجئين، وذلك بهدف زيادة الأعباء على جيرانه.

ورأى ألترمان أن سياسة الأسد الدموية قد أدت إلى حالة من الفوضى العارمة، ودفعت المجتمع الدولي للاختيار بين نظامه العلماني وبين الجهاديين، ولم تفلح محاولات الولايات المتحدة إضعاف الأسد والجهاديين لخلق حيز يساعد على نشوء حكم ديمقراطي، بل اتسمت السياسة الأمريكية بالتردد الذي ظهر في إعلان ترامب المتعجل بالانسحاب في شهر ديسمبر الماضي، تاركاً صياغة مستقبل العملية السياسية للخصوم الفاعلين على الأرض: إيران وروسيا وتركيا.

إلا أن أياً من هذه القوى لا يملك 250 مليار دولار أو أكثر لإعادة إعمار سوريا، وعلى الرغم من أن الصين لديها الإمكانيات المادية إلا إنها لا تملك الشهية لانخراط عميق في الشأن السياسي أو العسكري، في حين تكتفي الدول الأوروبية بتقديم المساعدات للمحافظة على بعض النفوذ، وذلك في مقابل تخفيض الولايات المتحدة حجم مساعداتها الإنسانية، وتوشك على إنهاؤها بالكامل، رافضة المساعدة في إعادة الإعمار طالما بقي الأسد في السلطة.

وفي ظل تلك الأوضاع المتردية؛ يمسك الأسد بملف اللاجئين كورقة ضغط ضد جيرانه، حيث تستضيف الأردن ما يقدر بين 600 ألف إلى 1,3 مليون لاجئ سوري، ويستضيف لبنان أكثر من مليون لاجئ، وهنالك ثلاثة ملايين لاجئ في تركيا، ونحو نصف مليون لاجئ في أوروبا، جعل الأسد من عودتهم أمراً صعباً، وذلك بهدف إعفاء اقتصاد نظامه المترهل من تبعات تأمين الطعام والخدمات والوظائف لهم، واستغلال غيابهم لإخلاء المساكن لحلفائه، وإراحة نفسه أمنياً من أعداء مفترضين عارضوا حكمه، وضمان أمن الموالين له، ومساعدته في التفرغ لجبهات أخرى لا تزال مشتتة، حيث تحشد "الحرب على الإرهاب" ما تبقى من سكان في سوريا خلف الحكومة، وخاصة منهم أبناء الأقليات الذين طالما شعروا بالخوف من قوى التطرف، في حين يبقى العنف الذي انتهجته الحكومة كفيلاً بإسكات كل من ينتقد النظام جراء تردي الوضع الاقتصادي.

وفي إشارة إلى معاناة دول الجوار، ذكّر أترمان بزيادة نسبة السكان في الأردن والتي بلغت نحو 50% خلال العقد الأخير، في حين دمرت الحرب في سوريا التجارة مع الأردن، وانخفضت الإيرادات الحكومية، وارتفع الطلب على المياه والكهرباء والتعليم والرعاية الصحية، وارتفعت البطالة، وتوسعت دائرة الاحتجاجات من قبل الشباب الباحث عن فرص العمل.

أما في لبنان؛ فعلى الرغم من أن السوريين يعملون بأجور منخفضة للغاية؛ إلا أن موجة اللجوء الحالية ترمي بثقلها على الاقتصاد اللبناني أكثر من الأردني، وبما أن نسبة السوريين تشكل واحد من أربعة داخل لبنان فإن ذلك يؤثر على التوازن الهش، حيث بلغت الحالة السياسية اللبنانية المضطربة مرحلة حرجة دفعت بالكثير من اللبنانيين للمطالبة بعودة السوريين إلى بيوتهم حتى وإن كانت هذه البيوت لم تعد قائمة. وعلى الرغم من أن النظام لا يريد عودة اللاجئين، وأن القانون الدولي الإنساني يحظر إعادة القسرية للاجئين، إلا أن ذلك لا يشكل أية قيمة لدى الكثير من اللبنانيين الذي يشعرون أن اللاجئين يعرضون بلادهم لتهديد وجودي.

وفي حين تستضيف تركيا معظم اللاجئين السوريين؛ إلا أن عدد سكانها كبير جداً مقارنة بلبنان والأردن، إذ لا يشكل اللاجئون السوريون في تركيا سوى 5% من مجمل السكان، وذلك بخلاف أوروبا التي شكلت حركة الهجرة فيها حالة اضطراب سياسي.

ونقل أترمان عن سياسي خليجي رفيع قوله إن الأسد ربما يكون قد كسب الحرب، إلا أنه سيواجه مشاكل تتعلق بشريعته حينما يفشل في إعادة إعمار سوريا، لكنه رأى أن دول الجوار لا تمتلك رفاهية الانتظار حتى يخسر بشار الأسد معركة الشرعية بفعل الضغط الاقتصادي، إذ تواجه البيئة السياسية في الأردن ولبنان تحديات خطيرة، وباتت تعاني من اليأس وقلة ذات اليد، خاصة وأن المساعدات الخارجية بدأت تنضب بالتزامن مع انتهاء الحرب، في حين تبقى معضلات اللاجئين ماثلة أمامهم، ورجح أن يحصل بشار الأسد على مساعدات سخية من بعض الدول ليس لأن حكوماتها تريد إنقاذه بل لرغبتها في إقناعه بإعادة اللاجئين وإنقاذ اقتصاديات الدول المجاورة له.



Strategy
WATCH



المركز
الإستراتيجي

ترجمات

توفير خدمات الترجمة ونشر التقارير والأبحاث ذات الأهمية السياسية والعسكرية في الشأنين السوري والخليجي.

الأربعاء 3 أبريل 2019

المرصد الإستراتيجي

بيت خبرة رائد في تقديم الخدمات المتخصصة للعاملين في المجالات السياسية والأمنية بالمنطقة العربية.

يعمل على تعزيز المفاهيم الاحترافية لدى الجيل الجديد من العاملين في الشؤون السياسية والأمنية في العالم العربي، ورفد صناع القرار بمعلومات نوعية بجودة عالية ومهنية تستند إلى الموضوعية والحياد والاستقلالية، بعيداً عن مؤثرات الإيديولوجيا الطارئة ومعارك الاستقطاب الإقليمي.

www.strategy-watch.com